

عرض لكتاب "كيف رَبِحَ الغرب" بقلم رودني ستارك

بقلم مايكل باركر Michael Parker* (mike.parker@etsc.org)
كلية اللاهوت الإنجيلية بالقاهرة

How the West Won: The Neglected Story of the Triumph of Modernity. By Rodney Stark. Willmington, DE: Intercollegiate Studies Institute, 2014. 432 pages. \$27.95.

لاحظ المؤرخ رودني ستارك، منذ جيل مضى، أن غالبية الكليات والجامعات الأمريكية قد ألغت مقررات "الحضارة الغربية" الخاصة بالمبتدئين. وكانت لديهم أسباب وجيهة للقيام بذلك. لقد مالت هذه المقررات، بعد تغذيتها بالتعصب العرقي المتعطر، لافتراض مكانة متميزة للثقافة الغربية متجاهلة أو مستنكرة بشكل ضمني كل الثقافات الأخرى. ومن الواضح أن هذا الأمر كان مرفوضاً في عصرنا التعددي أو، يمكننا القول، عصرنا الأكثر استنارة. ومن المفارقات التي يكتب عنها ستارك، هي أن نتيجة التغيير في السياسة جعلت الأمريكيين "أكثر جهلاً للكيفية التي أصبح عليها العالم الحديث. والأسوأ من ذلك، أنهم في خطر التعرّض للتضليل الشديد من جراء افتراءات سخيفة، وصحيحة سياسياً، وجميعها تحظى بشعبية في الحرم الجامعي.

إن ستارك ناقد مرح للمعتقدات السائدة، وقد كتب كتاباً حاداً وممتعاً. وهو يُسرّ بهدم الحقائق الكاذبة أو على الأقل المشتبه في كذبها والتي تسري في كثير

* ترجمة سامح رهيف.

Originally published as: Michael Parker, "Review of *How the West Won* by Rodney Stark," *Cairo Journal of Theology* 2 (2015): 52–53, <http://journal.etsc.org>.

من الأحيان في الحرم الجامعي على أنها حكمة تقليدية – وافترضاً، في كل مكان آخر أيضاً. وأهدافه الرئيسية ليست مجرد التشوهات الحتمية الموجودة في ثقافة الحرم الجامعي والتي تهيمن على الاستقامة السياسية. لكنه يتناول الأكاذيب التي كانت شائعة عندما كانت فصول "الحضارة الغربية" تُدرس في عنفوانها، مثل الإفراط في التركيز على الفن والأدب والتقليل من التركيز على الأهمية الرئيسية للمسيحية. والأهم من ذلك، يريد ستارك أن يشرح سبب نجاح الحضارة الغربية في إنتاج تطورات علمية وتكنولوجية للحدثة في حين أن الثقافات الأخرى لم تتجح في ذلك.

يعتقد معظم الناس أن الإمبراطوريات المتعاقبة والتي كانت موجودة في بلاد ما بين النهرين ومصر القديمة هي أقصى درجات نجاح الحضارة، لكن ستارك لديه وجهة نظر مختلفة. فبالنسبة له، لقد مالت تلك الحضارات لاستنزاف الموارد الأساسية من المناطق الضخمة التي سيطرت عليها، وخنقت الإبداع وأنتجت بؤساً شاملاً من أجل تمويل مشاريع عمل عامة رائعة (على سبيل المثال، الأهرامات). كانت عبارة عن ثقافات راكدة إلى حد كبير حيث استخدمت الاكتشافات العلمية والابتكارات التكنولوجية بأقل قدر ممكن. وفي المقابل، أنتجت دول المدن الصغيرة في اليونان ابتكارات مذهلة كل المجالات تقريباً: في السياسة، والفلسفة، والأدب والعلوم.

ويوضح أن "اليونانيين القدماء أخذوا الخطوة الأكثر أهمية والوحيدة نحو صعود العلم الغربي عندما اقترحوا أن الكون منظم وتحكمه قوانين ضمنية يمكن للعقل البشري أن يستشفها من خلال الملاحظة." ولأن المفكرين المسيحيين الأوائل آمنوا بوجود الخالق العقلاني، فقد اعتنقوا اخلاص اليونانيين نحو العقل. وعلاوة على ذلك، فقد أضافوا لهذا الأمر أن التاريخ تقدّم. وقامت هاتان الفكرتان معاً بوضع الأساس لجميع التطورات العلمية والتكنولوجية الغربية اللاحقة. أما الثقافات الأخرى، التي اتبعت مبادئ فلسفية ولاهوتية مختلفة، رفضت إلى حد كبير إمكانية العلم أو التقدم.

يكرّس ستارك كل فصل من فصول الكتاب لتصحيح التصورات التاريخية الخاطئة والشائعة: وهي أن سقوط الإمبراطورية الرومانية لم تكن مأساة بل فائدة كبيرة لكل البشر؛ وأنه لم تكن هناك "عصور مظلمة" لأن هذه الحقبة كانت أحد الحقب التي تميزت بتقدم تكنولوجي ملحوظ؛ وأن "الثورة الصناعية" التي حدثت في القرن السابع عشر، في واقع الأمر، لم تكن ثورة بل تنويجاً

مايكل باركر: عرض لكتاب "كيف ربح الغرب" بقلم رودني ستارك

للحقة السابقة لها، وهكذا دواليك. ويمكن لستارك وهو يركض عبر التاريخ بوتيرة مسرعة أن يطرح تعميمات مشكوك فيها في نفس الوقت الذي يكشف فيه زيف التعميمات الأكثر قبولاً التي يحتقرها هو. ومع ذلك، فهو كتاب عميق وهناك حاجة إليه. وفي الواقع، إن ستارك يعمم في كثير من الأحيان ما كان المؤرخون المحترفون يكتشفونه ويتجادلون حوله في السنوات الأخيرة – وهي مهمة لم يعد يؤديها أساتذة الحضارة الغربية بكل أسف.